تحرير قول شيخ الإسلام ابن تيمية

في مسألة

حكم طلب الدعاء من الأموات

إعداد

د. أيمن بن سعود العنقري

الأستاذ المساعد بقسم العقيدة والمذاهب المعاصرة بكلية أصول الدين

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - الرياض

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

☜ جمع ما تيسر من كلام شيخ الإسلام أبي العباس بن تيمية في حكم طلب الدعاء أو الشفاعة من الميت.

✍ كأن يقول: يا رسول الله، ادع الله لي،أو سل الله لي، يا عبد القادر الجيلاني ادع الله أن يقضي حاجتي، يا حسين سل الله أن يشفّع فيّ الرسول. ونحو ذلك.

❶ قال في قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة (ص٢٤-٢٥):"وقد يخاطبون الميت عند قبره أو يخاطبون الحي وهو غائب كما يخاطبونه لو كان حاضراً حيّاً وينشدون قصائد **يقول أحدهم فيها:يا سيدي فلاناً!أنا في حسبك، أنا في جوارك، اشفع لي إلى الله،سل الله لنا أن ينصرنا على عدونا،سل الله أن يكشف عنّا هذه الشدّة،أشكو إليك كذا وكذا فسل الله أن يكشف هذه الكربة،أو يقول أحدهم: سل الله أن يغفر لي**... إلى أن قال: "فهذه الأنواع من خطاب الملائكة والأنبياء

والصالحين بعد موتهم عند قبورهم وفي مغيبهم، وخطاب تماثيلهم هو من أعظم أنواع الشرك الموجود في المشركين من غير أهل الكتاب، وفي مبتدعة أهل الكتاب والمسلمين الذين أحدثوا من الشرك والعبادات ما لم يأذن به الله".

✍ أقول: هذا نص صريح في أنّه يرىٰ أنّ طلب الدعاء من الأموات "شرك".

❷ قال في «اقتضاء الصراط المستقيم» (٢/ ٣٠٤-٣٠٥): "**والمقصود هنا**: أنَّ الشرك وقع كثيراً، وكذلك الشرك بأهل القبور بمثل دعائهم، والتضرّع إليهم، والرغبة إليهم، ونحو ذلك، فإذا كان ﷺ نهىٰ عن الصلاة التي تتضمّن الدعاء لله وحده خالصًا عند القبور؛ لئلا يفضي ذلك إلىٰ نوعٍ من الشرك بربّهم، فكيف إذا وجد ما هو نوع من الشرك من الرغبة إليهم، **سواء طلب منهم قضاء الحاجات وتفريج الكربات، أو طلب منهم أن يطلبوا ذلك من الله تعالىٰ**؟".

✍ أقول: فجعل كلا الصورتين من الشرك وهما:

(١) طلب قضاء الحاجة من الميت مباشرةً.

(٢) طلب الدعاء من الميت بالوساطة أن يدعو الله له.

❸ قال في «الاستغاثة» في الرد علىٰ البكري (ص٢٢٦): "**فكيف يقول القائل للميت: أنا أستغيث بك، وأستجير بك، أو أنا في حسبك، أو سل لي الله**، ونحو

ذلك، فتبيّن أنّ هذا ليس من الأسباب المشروعة؛ ولو قدّر أنّ له تأثيراً، فكيف إذا لم يكن له تأثير صالح بل مفسدته راجحة على مصلحته كأمثاله من دعاء غير الله".

✍ أقول: فجعل طلب الدعاء من الميت من صور دعاء غير الله، وهي من الشرك.

وقد نصّ على هذا في «مختصر الفتاوى المصرية» (١/ ٤١٢-٤١٣) قائلاً: "**فمن جعل الملائكة أو غيرهم أرباباً، ووسائط يدعوهم، ويتوكّل عليهم، ويسألهم غفران الذنوب، وهداية القلوب، وتفريج الكربات، ونحو ذلك، فهو كافر بإجماع المسلمين**... ومن جعل المشايخ من أهل العلم والدين وسائط عن الرسل؛ يعلمونهم ويقتدون بهم؛ فقد أصاب.. وكلّ أحدٍ يؤخذ من كلامه ويترك إلاّ رسول الله...

وإن أثبتهم وسائط بمعنى الحجّاب الذي بين الملك ورعيته؛ بحيث يكونون هم يرفعون إلى الله حوائج خلقه؛فهذا شرك وكفر".

❹ قال في «اقتضاء الصراط المستقيم» (٢/ ٢٢٤-٢٢٥): "ومن رحمة الله تعالى **أنّ الدعاء المتضمّن شركاً، كدعاء غيره أن يفعل، أو دعائه أن يدعو** ونحو ذلك لا يحصل به غرض صاحبه ولا يورث حصول الغرض شبهة إلاّ في الأمور الحقيرة،

فأمّا الأمور العظيمة، كإنزال الغيث عند القحوط، أو كشف العذاب النازل، فلا ينفع فيه هذا الشرك".

✍ قلت: كلامه صريح في إدخال طلب الدعاء من الأموات ضمن الشرك.

❺ ذكر أنّ طلب الدعاء من الأموات هو عين الشفاعة الشركية التي وقع فيها النصارىٰ ومشركوا العرب فقال كما في قاعدة عظيمة في الفرق بين عبادات أهل الإسلام والإيمان وعبادات أهل الشرك والنفاق (ص١٢٠-١٢١): "فلو شرع أن يطلب من الميت الدعاء، والشفاعة، كما كان يطلب منه في حياته؛ كان ذلك مشروعًا في حقّ الأنبياء والصالحين، فكان يسنّ أن يأتي الرجل قبر الرجل الصالح، نبيّاً كان، أو غيره، فيقول: **ادع لي بالمغفرة، والنصر، والهدى، والرزق، اشفع لي إلى ربك، فيتخذ الرجل الصالح شفيعاً بعد الموت،كما يفعل ذلك النصارى، وكما تفعل كثير من مبتدعة المسلمين، وإذا جاز طلب هذا منه، جاز أن يطلب ذلك من الملائكة، فيقال: يا جبريل، يا ميكائيل، اشفع لنا إلى ربك، ادع لنا.**

ومعلوم أنّ هذا ليس من دين المسلمين، ولا دين أحدٍ من الرسل، لم يسنّ أحد من الأنبياء للخلق أن يطلبوا من الصالحين الموتىٰ، والغائبين، والملائكة، دعاء، ولا شفاعة، بل هذا أصل الشرك، فإنّ المشركين إنّما اتخذوهم شفعاء".

❻ ذكر عقيدة الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمۡ في منع الطلب من الأموات وأنّه"شرك" فقال كما في «قاعدة عظيمة» (ص٣١-٣٢): "وكانت طريقة أصحاب محمدٍ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ أنّهم يعبدون الله وحده بما أمرهم به نبيّهم؛ ويعبدون الله بسائر ما أمرهم به نبيهم، ولا يعبدون إلاّ الله، ولا يدعون غير الله، لا ممّا في السماء، ولا ممّا في الأرض، ولا الملائكة، ولا الكواكب، ولا الأنبياء، ولا تماثيلهم، بل قد علموا أنّ هذا كلّه من الشرك الذي حرّمه الله ورسوله.

ولا يدعون مخلوقاً، لا ملكاً، ولا جنّياً، ولا بشراً، لا نبياً ولا غير نبيّ، لا عند قبره، ولا في مغيبه، ولا يستعينون إلاّ بالله، ولا يتوكّلون إلاّ على الله، ولا يدعون مخلوقاً غائباً، ولا ميتاً، ولا يستغيثون به، ولا يشكون إليه، ولا يطلبون منه مغفرةً، ولا هدىً، بل يطلبون هذا كلّه من الله. ولا يفعلون كماي فعل النصارى فيستشفعون بالملائكة، أو الموتى من الأنبياء والصالحين، عند قبورهم أغير قبورهم، **ولا يقول أحد منهم: يا جبريل، يا ميكائيل، اشفع لي إلى الله، ولا يقول: يا إبراهيم، يا موسى، يا عيسى، اشفع لي إلى الله، كما يفعل النصارى**، بل قد علموا أنّ الغائب لا يطلب منه شيء، والميت لا يطلب منه شيء".

❼ ذكر في «قاعدة عظيمة» (ص١٣٥) أنواع الشرك فقال: "**والمقصود هنا:** التنبيه على أنّ الشرك أنواع:

☜ فنوع منه يتخذونهم شفعاء يطلبون منهم الشفاعة والدعاء من الموتى والغائبين، ومن تماثيلهم.

☜ **ونوع يتقرّبون بهم إلى الله.**

☜ ونوع يحبونهم لا لشيء، بل كما قال الله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ [الجاثية:٢٣]. يهوى أحدهم شيئاً فيتخذه إلهاً من غير أن يقصد منه نفعاً ولا ضرّاً..، والله سُبۡحَانَهُ هو الذي يستحق أن يحب لذاته ويعبد لذاته دون ما سواه، وهؤلاء جعلوا لله أنداداً كما قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمۡ كَحُبِّ ٱللَّهِۖ﴾ [البقرة:١٦٥].

وهذه الأنواع الثلاثة كانت في مشركي العرب وغيرهم".

✍ **أقول**:

☜ فقوله: "ونوع يتقرّبون بهم إلى الله" صريح في أنّ طلب الشفاعة والدعاء من الميت والغائب هو دين مشركي العرب وهذه الصورة هي مسألتنا بعينها (الطلب من الميت أن يدعو الله له).

بل جعل الشيخ كلا الصورتين موجودةً عند مشركي العرب، وأنّ حكمهما سواء.

❽ قال في [**منهاج السنة**] (٢/ ٤٣٨): "بل كان المسلمون لمّا فتحوا أرض الشام والعراق وغيرهما إذا وجدوا قبراً يقصد الدعاء عنده غيّبوه،كما وجدوا بتستر قبر دانيال فحفروا له بالنهار ثلاثة عشر قبراً ودفنوه بالليل في واحدٍ منها،وكان مكشوفاً، **وكان الكفّار يستسقون به، فغيّبه المسلمون؛ لأنّ هذا من الشرك**".

✍ **والاستسقاء بالميت**: يكون بأن يطلب من الميت أن يدعو الله له ويسأله إنزال الغيث.

وهذا نص صريح أنّه يرى الطلب من الأموات "شرك".

❾ قال في [**الرد على المنطقيين**] (ص١٠١): "فإنّ مشركي العرب وغيرهم ممّن يقرّ بأنّ الربّ فاعل بمشيئته وقدرته وأنّه خالق كلّ شيء وأنّ السماوات والأرض مخلوقة لله ليست مقارنةً له في الوجود دائمةً بدوامه كانوا يعبدون غير الله ليقرّبوهم إليه زلفى ويتخذونهم شفعاء **يشفعون لهم عند الله بمعنى أنّهم يدعون الله لهم فيجيب الله دعاءهم له**. وهؤلاء المشركون الذين بيّن القرآن كفرهم وجاهدهم رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على شركهم. قال تعالى: ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ ﴾ [يونس:١٨]، وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ ﴾ [الزمر:٣].

✍ **قلت**: مثّل الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ شرك اتخاذ الشفعاء عند مشركي العرب بطلب الأوثان والأصنام أن تدعو الله لهم حيث قال: "بمعنىٰ أنّهم يدعون الله لهم"؛ ممّا يدلّ علىٰ أنّه يرىٰ أنّ الطلب من الأموات "شرك".

⑩ قال في ؛اقتضاء الصراط المستقيم؛ (٢/ ٧٩٤): "والمقصود أنّه إذا كان السلف والأئمّة قالوا في سؤاله بالمخلوق ما قد ذكر فكيف بسؤال المخلوق الميت؟ سواء سئل أن يسأل الله، أو سئل قضاء الحاجة ونحو ذلك، ممّا يفعله بعض النّاس، إمّا عند قبر الميت وإمّا مع غيبته".

فقد سوّىٰ الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ بين طلب الدعاء من الأموات وبين سؤال الأموات مباشرةً.

✍ **أقول**:

هذا هو الحق؛ لأنّ هذا دعاء للميت وطلب للشفاعة منه، فمن طلب من الميت أن يدعو له فهذا معناه: أنّه طلب منه أن يشفع له، والشفاعة لا تكون إلاّ لله.

فمن يقول: يا رسول الله، ادع الله لي أن يقضي حاجتي معناه: اشفع لي. وهذا معنىٰ طلب الشفاعة من الميت وهو ما عليه مشركوا العرب.

فإذا أتى آتٍ إلى قبر نبيٍّ، أو قبر وليٍّ فقال: أستشفع بك، فمعناه: أنّه طلب منه، ودعا أن يدعو له؛ فلهذا كان صرفها لغير الله شركاً أكبر؛ لأنّها دعوة لغير الله، وسؤال من هذا الميت، وتوجّه بالطلب والدعاء منه.

⬅ وأمّا ما ورد في بعض كلام أبي العباس ابن تيمية أنّ طلب الدعاء من الأموات بدعة، فمراده:أنّها بدعة شركية، وليس مراده: بالبدعة التي دون الشرك.

⬅ وهذا يرد في كلامه: أنّه يسمّي الشرك بدعة، فمن ذلك ما جاء في «**اقتضاء الصراط المستقيم**» (٢/١٢٨): "والشرك وسائر البدع مبناها على الكذب والافتراء، ولهذا: كلّ من كان عن التوحيد والسنّة أبعد، كان إلى الشرك والابتداع والافتراء أقرب".

➤ فجعل الشرك داخلاً في البدعة.

وفي «**الاقتضاء**» أيضًا (٢/ ٢٠٣): "وقد أحدثتم في دينه من الشرك ما لم ينزل به وحياً من السماء، فأيّ الفريقين أحقّ بالأمن؟ من كان لا يخاف إلاّ الله، ولم يبتدع في دينه شركاء، أم من ابتدع في دينه شركاً بغير إذنه؟ بل من آمن ولم يخلط إيمانه بشرك فهؤلاء من المهتدين" فسمّى الشرك بدعةً.

❁ وهناك جواب آخر ذكره الشيخ صالح آل الشيخ بقوله: "هذا جاء في كلام شيخ الإسلام، صحيح. لكنّ البدعة يريد بها البدعة الحادثة، يعني: التي حدثت في

هذه الأمّة وليس مراده رَحِمَهُ ٱللَّهُ بالبدعة أنّ البدعة التي ليست شركاً؛ لأنّ البدع التي حدثت في الأمّة منها بدع كفرية شركية، ومنها بدع دون ذلك.

☜ فإذاً قوله: "وأمّا سؤال الميت أن يدعو الله للسائل، فإنّه بدعة" يعني: هذا حدث في الأمّة، حتى أهل الجاهلية ما يفعلون هذا، ما يقولون هذا، ما يقولون: ادع الله لنا. إنما يقولون: اشفع لنا. فمسألة أن يطلب من الميت الدعاء هذه بدعة حدثت، حتى المشركون ليست عندهم، أهل الجاهلية ليست عندهم، بل حديثة في هذه الأمّة، وإنما كان عند أهل الجاهلية الطلب بلفظ الشفاعة: "اشفع لنا"، يأتون ويتقرّبون؛ لأجل أن يشفع، يتعبدون لأجل أن يشفع، أو يخاطبونه بالشفاعة، ويقولون: اشفع لنا بكذا وكذا. أمّا ادع الله لنا، هذه بدعة حدثت في الأمّة.

✔ فكلام شيخ الإسلام صحيح أنها بدعة محدثة، وكونها بدعة لا يعني ألا تكون شركاً أكبر". انتهى كلامه من الأجوبة والبحوث والمدارسات (٢/ ٢٦٠).

✍ وَبَعْدُ: فهذا تحرير مختصر لقول الإمام شيخ الإسلام ابن تيمية في حكم طلب الدعاء من الأموات؛ لأنّ بعض المعاصرين من المرجئة وغيرهم ينسبون للشيخ أنّه يرى أنّ ذلك بدعة وليس شركاً، فرغبت بتوثيق كلامه رَحِمَهُ ٱللَّهُ من كتبه؛ ليتبين خلاف ما ادّعوه ونسبوه كذباً على الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ.